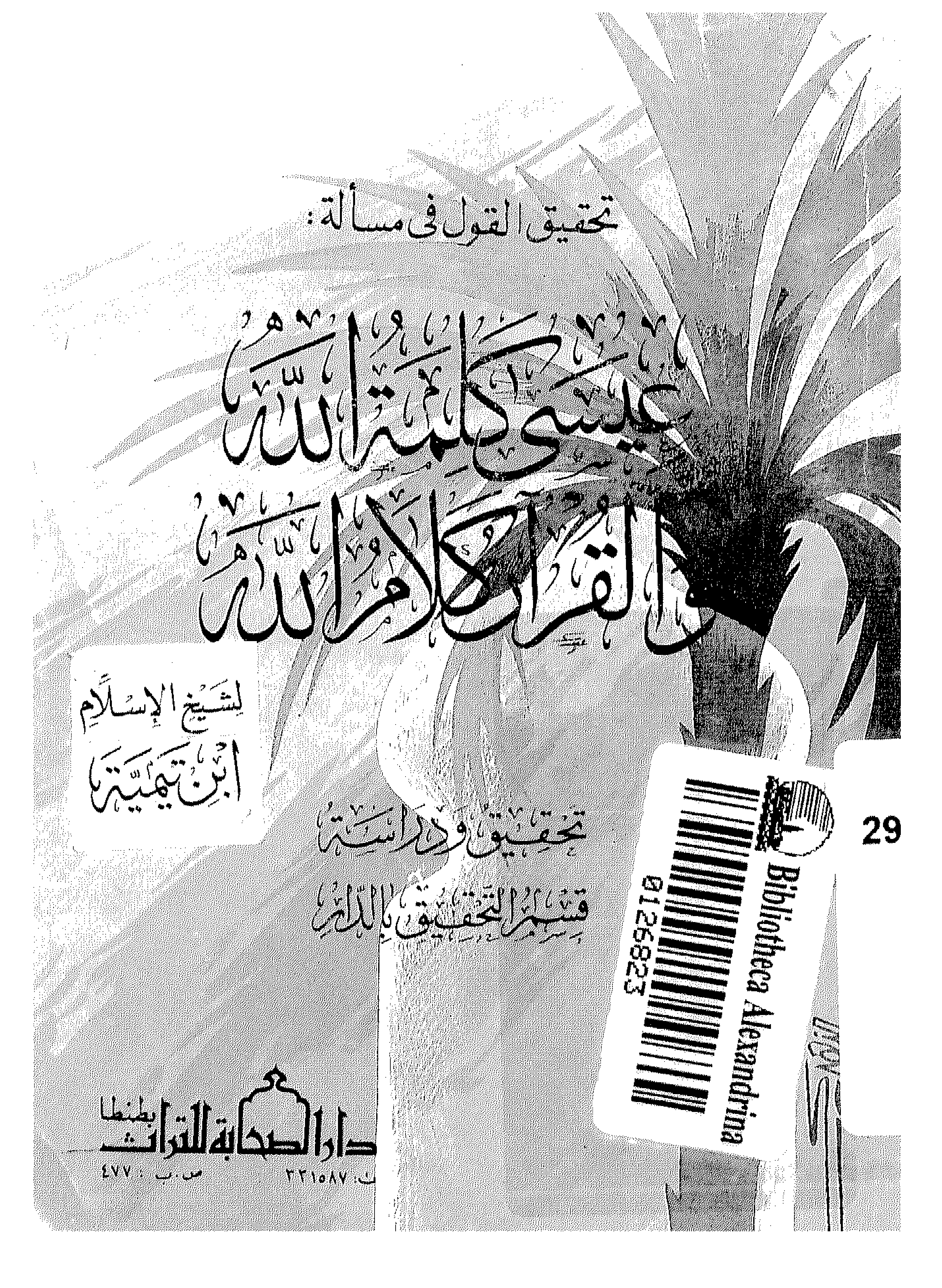


تحقيق القول فى مسألة:
عيسى كلمة الله
والقرآن كلام الله
لشيخ الإسلام
ابن تيمية
تحقيق ودراسة
قسم التحقيق بالدار
دار الصحابة للتراث بطنطا
ت: ٣٣١٥٨٧
ص.ب: ٤٧٧

تحقيق القول فى مسألة :



تحقيق ودراسة

قسم التحقيق بالدار

دار الصحابة للتراث بطنطا

دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر والتحقيق والتوزيع

الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

المراسلات/
دار الصحابه للتراث بطنطا
ش المديريه - أمام محطة بنزين التعاون
ص. ب - ٤٧٧ / طنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــــم

إن الحمد لله تعالى نحمده ، ونستعين به ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله تعالى فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء : ١] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠
يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : ٧٠ ؛ ٧١]

أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

وبعد .. بين يديك ، أخى القارىء الكريم ، رسالة قيمة ، عظيمة النفع ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، نقدمها إليك عسى أن تكون لك نبراسًا فى حياتك الدنيوية وطريقًا إلى رب البرية - عز وجل - يتناول فيها الرد على الذين زعموا أن القرآن كلام الله مخلوق ، وأدحض حجتهم وأزال شبهتهم ، وأنار السبيل - أمام علماء المسلمين وعامتهم - الذى يوضح هذا الجانب العظيم من العقيدة الإسلامية وإزالة الغبار الذى علق بها ذاكرًا فيها رأى السلف الصالح فى مسألة خلق القرآن سارِدًا أدلته من الكتاب والسنة الصحيحة ويخرج من

هذا كله بخلاصة رأيهم ورأيه فى هذه المسألة وهى (أن القرآن غير مخلوق ، وغير قديم ، بل هو حادث بحدوث التكلم من الله سبحانه وتعالى بمشيئته وإرادته عندما يتكلم ، وأنزل على النبى ﷺ كلامه بالروح الأمين جبريل) .

هذا هو مجمل رأى ابن تيمية فى مسألة خلق القرآن متبعًا فيها رأى إمام أهل السنة والجماعة أحمد ابن حنبل – رحمه الله تعالى –، ورأى أحمد فى هذا المقام هو الذى سجله فى رسالته إلى الخليفة (المتوكل) ، وهذه الرسالة تدل على أن الإمام أحمد لا يستحسن الخوض فى مثل هذا ولا يتعمق فيه ، ولا يرضاه ، وإن خاض فيه يخوض كارها ، ليمنع الناس من أن يفتنوا بما يدعو إليه أهل الجدل فى الدين ، ولذا ختم الرسالة بقوله : (لست بصاحب كلام ولا أرى الكلام فى شىء من هذا) . فالإمام أحمد – رضى الله عنه – يرى أن القرآن غير مخلوق ، وهو ينطق بهذا تابعًا للسلف الصالح الذين رأوا ذلك واعتقدوه ، ولم يبتدعه ابتداعًا ، ولولا أنه حسب أن

بعض التابعين قاله ما نطق به ، ويزكى هذا الرأى بأن القرآن كلام الله ، وكلام الله غير خلق الله وبأن القرآن أمر والأمر غير الخلق ، وبأن القرآن من علم الله سبحانه وتعالى ، وعلم الله غير خلقه ، وقد أخذ هذا كله من نصوص القرآن ، ومن أحاديث النبى ﷺ وأخبار الصحابة الكرام .

هذا رأى الإمام أحمد بن حنبل ، ورأى جمهور المسلمين ، وتبعهم فى ذلك ، وناصرهم تقى الدين ابن تيمية ، فهو يرى أن القرآن غير مخلوق ، وأن ذلك رأى السلف ، وأن من يقول غير ذلك مبتدع ، وهو بعد ذلك يوضح وجهة نظر الإمام أحمد بالدليل ويؤيده بالنقول ، ويقربه إلى العقول .

وإنه من الواجب علىَّ أن أقول كلمة حق ، وهى أن ابن تيمية كان بحق من مجددى القرنين السابع والثامن وكان له الفضل فى إحياء أقوال أهل السنة والجماعة بعد اندراسها وبزوغ ضوء المبتدعة وأهل الكلام والمتصوفة الغالين ، فشنُّوا عليه حربا شعواء ، وكادوا له إلى الحاكم ولكن قوة حُجة وإيمان

ابن تيمية جعلته صامدًا أمام خصومه الحاقدين ، فبزغ نجمه ، وأحبه الخاصة والعامة وأثنوا عليه وأطْروه بما هو أهله ، فاستمر نجمه يعلو ويضيء فى ظلمات الحوادث ومدلهمات الخطوب ، وما إن انجلى الليل ، وتنفس الصبح إلا وقد علموا مكانة ابن تيمية لدى الناس فرحم الله ابن تيمية رحمة واسعة ، عما أسداه لنُصرة وإحياء أقوال السلف الصالح فى عصر اندثرت فيه تعاليمهم .

والله أسأل أن ينفع بهذا العمل المسلمين إنه على ما أقول سميع مجيب الدعاء .

بين يـدى الكتـاب

أخى القارئ الكريم ؛

هذه الرسالة التى بين يديك عبارة عن سؤال وُجِّه إلى الإمام أبى العباس أحمد ابن تيمية عن مسلم ونصرانى تحاوروا فقال النصرانى : أنتم معاشر المسلمين فى كتابكم أن عيسى كلمة الله وتقولون القرآن كلام الله وهو غير مخلوق ، فبينوا لنا القول فى ذلك ، وابسطوا الجواب .

فبدأ الإمام – رحمه الله – بالرد على هذه الشبهة التى يدعيها النصارى والجهمية من المعتزلة وغيرهم ، وأوضح أن هذا الأمر وهو (خلق القرآن) هو القضية التى امتحن فيها الإمام أحمد ابن حنبل – رحمه الله – ثم بدأ فى الإجابة على هذا السؤال .

فأوضح أن اللفظ فى اللغة العربية قد يختلف من موضع إلى آخر حسب السياق الذى قيل فيه ، وساق أمثلة لذلك كثيرة من خلال الآيات ، وناقش فيه عدة

ألفاظ وردت بمعان مختلفة باختلاف السياق ، ومن هذه الكلمات كلمة (الرحمة - القدرة - العلم - الكلام ...) وبين أن اللفظة استعملت فى كل مكان بمعنى يغاير المعنى الآخر .

ثم انتقل بعد ذلك لمناقشة معنى قولنا (كلام الله) فأوضح أن القرآن الكريم غير مخلوق ، وأن عيسى مخلوق بكلمة (كن) ، فكلمة (كن) من الله غير مخلوقة ، أما عيسى الذى أُوجد تنفيذًا لها فهو المخلوق فيكون هناك فرق بين القرآن كلام الله ، وأن عيسى كلمة الله .

وانتقل بعد ذلك إلى مناقشة مسألة (أن عيسى روح الله) وهل هذا دليل على ألوهيته ففصل فى ذلك المقال ، وقال إن ذلك لا يعد مطلقًا دليلًا على ألوهية المسيح ، لأننا لو نظرنا إلى القرآن لوجدناه تحدث عن جبريل بقوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [سورة مريم : ١٧] وقال تعالى أيضًا : ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [سورة البقرة : ٨٧] فالمراد بروحنا ، والمراد بروح

القدس فى الآيتين جبريل عليه السلام ومع ذلك فجبريل مخلوق ، وكذلك يكون عيسى مخلوقا ، ثم أوضح عقب ذلك وجه الشبه الكبير بين الحلولية والاتحادية والنصارى فى مسألة تلبس الروح الإلهية بالبشر أجمعين ، وهؤلاء قالوا لبس فى عيسى ، فلا فرق بين هذه الفرق الضالة والنصارى فى هذا المبدأ وهو تدرع الروح الإلهية فى صورة بشر .

ثم ناقش ما يسمى (بالناسوت واللاهوت والأقنوم) وبين أثناء ذلك ضلال النصارى وتناقض أقوالهم مع صريح العقل وخبث نياتهم فى تبرير ما يؤمنون به .

ثم ختم رسالته بكلمة مبسطة عن الفرق بين الأسماء والصفات بالنسبة للخالق وبالنسبة للمخلوقين . ثم حكم على النصارى ومن شابههم من الجهمية والحلولية والاتحادية بأنهم مشركون مفترون ضالون يتّبعون الهوى بغير هدى من الله ، إلى غير ذلك من المسائل التى يتناولها ابن تيمية من خلال هذه الرسالة القيمة ، نسأل الله عز وجل الهداية والسداد والرشاد ، هذا والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

ترجمة شيخ الإسلام ابن تيميَّـة

مولده ونشأته :

هو شيخ الإسلام ، وحافظ الأنام ، المجتهد فى الأحكام ، نادرة العصر : تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم ابن الخضر بن محمد بن تيمية الحرانى الحنبلى .

ولد بحران يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة .

وذكر أن جده سُئل عن اسم تيمية فأجاب : أن جده حج وكانت امرأته حاملًا ؛ فلما كان بتيماء - بلدة قرب تبوك - رأى جارية حسنة الوجه قد خرجت من خباء ؛ فلما رجع وجد امرأته قد وضعت جارية ، فلما رفعوها إليه قال : يا تيمية يا تيمية ، يعنى أنها تشبه التى رآها بتيماء ؛ فَسُمِّى بها .

قدم به والده وبأخويه إلى دمشق فيمن هاجر إليها من المسلمين فرارًا من التتار الذين أغاروا على بلاد الإسلام فى ذلك العهد ، وأظهروا فى الأرض الفساد ؛ وذلك سنة سبع وستين وستمائة .

شَبَّ ابن تيمية ونما فى كنف والده الإمام بدمشق ، واستظهر بها القرآن الكريم وتعلم الخط والحساب فى حداثة سنِّه ، ثم أقبل بعد ذلك على الفقه وعلم العربية ، ثم أقبل على التفسير إقبالًا كليًّا حتى سبق فيه ، وأحكم أصول الفقه ، كُلُّ ذلك وهو ابن بضع عشرة سنة ، فانبهر العلماء من فرط ذكائه ، وسيلان ذهنه ، وقوة حافظته ومداركه .

وكان فى صغره يحضر المحافل العلمية فيناظر ويجادل ويُفْحِم الكبار ، ويأتى بالمعجب ، وأفتى وله أقل من تسع عشرة سنة ، وشرع فى التأليف ، وأخذ وهو فى الحادية والعشرين من عمره فى تفسير القرآن أيام الجمع فى المسجد الجامع من حفظه كما كان والده من قبل ، فكان يورد من حفظه فى المجلس نحو كراسين أو أكثر ،

وبقى يفسر فى سورة نوح عدة سنين أيام الجمع ، وعنى بالحديث ، وسمع المسند والكتب الستة مرات ، ومعجم الطبرانى الكبير ، وما لا يحصى من الكتب والأجزاء ، وتبحر فى العربية ، فأخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه ، حتى أنه خطَّأ سيبويه فى (الكتاب) فى ثمانين موضعًا .

وقد بلغ من قوة حفظه أنه ما كان ينسى شيئًا حفظه مع سرعة الحفظ ، وكانت له قدرة عجيبة على استحضار ما تستدعى الحاجة استحضاره من الأحاديث ، وكان إليه المنتهى فى عزوه إلى الكتب الستة والمسانيد ، بحيث يصدق أن يقال فيه : إن كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث .

وكان دؤوبًا على الدرس والمطالعة والبحث والتأليف فى مختلف العلوم ، وقلما يزاول علمًا إلا ويفتح عليه فيه .

وكان يكتب فى اليوم والليله من التفسير أو الفقه أو أصوله أو أصول الدين أو الرد على الفلاسفة أو أهل الملل والنحل والفرق أو غيرهم ، نحوًا من أربعة كراريس .

شيوخه :

سمع من الشيخ أحمد بن عبدالدايم ، وابن أبى اليسر ، والكمال بن عيد ، والمجد ابن عساكر ، ويحيى بن الصيرفى الفقيه ، وأحمد بن أبى الخير الحداد ، والقاسم الأربلى ، والشيخ شمس الدين بن أبى عمر ، والمسلم بن علان ، وإبراهيم بن الدرجى ، وأبى بكر الهروى ، والكمال عبد الرحيم ، وفخر الدين ابن البخارى ، وابن شيبان ، وشمس الدين بن عطاء الحنفى ، وزينب بنت مكى ، وخلق كثير .

وكان قد أخذ الفقه والأصول من والده شهاب الدين عبد الحليم بن عبد السلام الحرانى .

تلاميذه :

لم يعرف جيل ابن تيمية شيخًا كثر تلاميذه ومريدوه ، كما عرف الشيخ تقى الدين – رحمه الله – وكان لكثرة تنقله بين مصر والشام أثر بالغ فى كثرة تلاميذه ، وأن عددهم لا يحصى ، فقد كانوا كثيرين لطول المدة التى ألقى دروسه فيها ، فقد ألقى دروسه نحوًا

من ستة وأربعين عامًا ، دائبًا لا يمل ولا يكل ، من وفاة والده إلى أن قبضه الله تعالى وقد بلغ السادسة والستين ، وإذا كنا لا نستطيع أن نُحصى كل هؤلاء التلاميذ ، فإنا لا نستطيع أن نغفل القائم على تركة شيخه – من حيث التحرير والتأليف والمجادلة والمناظرة – أبو عبد الله محمد ابن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، فكان ابن تيمية منه بمنزلة الوالد الشفيق ، إذ كان من أصحب الناس له ، وأحب الناس إليه ؛ فتلقى علم ابن تيمية ، واقتنع به ، ونشره ، ودعا إليه ، وجادل عنه وحامى عليه، وكان سلفي الاتجاه كشيخه ، فكانت كتابته كشيخه ، إذ نزح من معينه ، واستقى من العين الثرة التى فتحها هو وغيره ؛ رضى الله عنهم أجمعين .

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه :

للإمام ابن تيمية فضل عظيم ويد طولى على العلم والعلماء ، والقضاة والمفتين وسائر الباحثين فى سائر العصور ، حيث أثار هذه المسائل والبحوث التى اختلفت فيها الأنظار وتجاذبها البحث بين النظار ، وقصد

إلى إصابة الحق والصواب ، ولكل مجتهد نصيب ، فمن أصاب فله أجران ، ومن أخطأ فله أجر الاجتهاد .

وقد أشاد به موافقوه ومخالفوه . قال فيه ابن سيد الناس : (ألفيته ممن أدرك من العلوم حظًّا ، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظًا ، إن تكلم فى التفسير فهو حامل رايته ، وإن أفتى فى الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه ، وذو روايته ، أو حاضر بالنحل والملل لم يُرَ أوسع من نحلته ولا أرفع من درايته ، برز فى كل فن على أبناء جنسه ، ولم تر عين من رآه مثله ، ولا رأت عينه مثل نفسه) .

وقال عنه ابن دقيق العيد – عند اجتماعه به وسماعه لكلامه – (ما كنت أظن أن الله بقى يخلق مثلك) وكان الشيخ عماد الدين الواسطى يعظمه جدًا ، وتتلمذ له ، مع أنه كان أسن منه . وكان يقول : (قد شارف مقام الأئمة الكبار ، ويناسب قيامه فى بعض الأمور قيام الصديقين) .

قال فيه ابن مخلوف – أحد خصومه –: (ما رأينا أفتى من ابن تيمية ، سعينا فى ذمه ، فلما قدر علينا عفا عنا) .

وكان الحافظ أبو الحجاج المزى يبالغ فى تعظيم الشيخ والثناء عليه ، حتى كان يقول : (لم يُر مثله منذ أربعمائة سنة) .

وحسبنا أن نذكر هنا شهادة الجلال السيوطى المتوفى سنة ٩١٠ هـ فإنه مع ما كان عليه من الانتساب للأشعرية والانتصار لابن عربى وتبرئته من القول بوحدة الوجود فى كتاب أسماه (تنبيه الغبى على تنزيه ابن عربى) فلم يمنعه ذلك من إنصاف ابن تيمية وأن يقول فى شأنه : (فوالله ما رمقت عينى أوسع علمًا ولا أقوى ذكاء من رجل يقال له ابن تيمية مع الزهد فى المأكل والملبس والنساء ومع القيام فى الحق والجهاد بكل ممكن) .

وإذا كان مقياس قيمة الرجل ومنزلته فى أية ناحية من نواحى الحياة هو ما خلفه فى تلك الناحية من آثار تبقى

من بعده لسان صدق وشاهد عدل على تقدمه وفضله ، فإن ابن تيمية بما ترك من مؤلفات ضخمة ورسائل عديدة فى جميع فنون العلم – تربو على ثلاث مائة مجلد – عالج فيها شتى مسائله تقريبا حتى لم تبق مسألة إلا وله فيها رأى ولا مشكلة إلا ولها على يديه حل ، قد أحرز قصب السبق والتفوق على جميع علماء عصره ، ونال لقب شيخ الإسلام بجدارة واستحقاق .

محنته ووفاته :

لم يبدأ مجد ابن تيمية الحقيقى فى الظهور فى ميدان النضال العلمى والثورة على عقائد وأفكار عصره إلا فى سنة ٦٩٨ هـ حينماورد عليه سؤال من (حماة) يسأله فيه صاحبه عن آيات الصفات كاستواء الله عز وجل على عرشه ، وهل يجوز تشبيه ذوات الله وصفاته بذوات وصفات المخلوقين مع الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

فلم يكد يقع هذا السؤال فى يد ابن تيمية حتى أمسك بقلمه وأملى فيه عقيدته المعروفة بـ (الحموية

الكبرى) ، ويقال إنه أملاها فى قعدة بين الظهر والعصر .

وفى هذه العقيدة يبسط ابن تيمية مذهب السلف بوضوح وصراحة فى مثل هذه الآيات والأحاديث مؤيدًا ذلك بالنقول عنهم ، ولكن ذلك لم يرض علماء الكلام فى عصره وعدوه نزوعًا منه إلى التجسيم والتشبيه ؛ فثاروا عليه ورفعوا أمره إلى النائب ، وكان جزاؤه الحرمان من التدريس ، وحبسه فى القلعة ، فقال حينئذ مقالته المشهورة – التى لابد أن تكون نبراسًا لكل داعية فى كل زمان يلقى صنوف الأذى من أعدائه وجهال عصره –: **(ما يصنع أعدائى بى ؟ أنا جنتى وبستانى فى صدرى ، أين رحت فهى معى ، لا تفارقنى ، أنا حبسى خلوة ، وقتلى شهادة ، وإخراجى من بلدى سياحة)** .

وكان فى حبسه فى القلعة يقول : **(لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبا ما عدل عندى شكر هذه النعمة)** .

ولم يزل ابن تيمية بعد ذلك ينتقل من محنة إلى محنة وهو صابر محتمل لا يبالى ما يلقى من الأذى فى سبيل

دعوته ، ولا يتبرم بغياهب السجون التى قضى فيها معظم أيام عمره إلى أن وافاه أجله وهو محبوس بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ ، عن سبعة وستين عاما وثمانية أشهر وعشرة أيام – رحمه الله تعالى –.

قال ابن كثير فى الحديث عن جنازته

البداية والنهاية (١٣٦/١٤) : (... وأغلق الناس حوانيتهم و لم يتخلف عن الحضور إلا من هو عاجز عن الحضور ، مع الترحم والدعاء له ، وأنه لو قدر ما تخلف وحضر نساء كثيرات بحيث حزرن بخمسة عشر ألف امرأة ، غير اللاتى كن على الأسطحة ، وغيرهن ، الجميع يترحمن ويبكين عليه فيما قيل . وأما الرجال فحزروا بستين ألفا إلى مائة ألف إلى أكثر من ذلك إلى مائتى ألف ، وشرب جماعة الماء الذى فضل من غسله ، واقتسم جماعة بقية السدر الذى غسل به ،... وقيل إن الطاقية التى كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهم) ا . هـ .

عملنـا فى الكتـاب

١ - قمنا بتخريج الآيات القرآنية الواردة فى الرسالة ، وعزوها إلى مكانها من المصحف الكريم .

٢ - قمنا بتخريج ما فى الرسالة من أحاديث نبوية ، مع ذكر درجة كل حديث .

٣ - أعددنا مقدمة للكتاب وترجمة للمصنف ووصف المخطوط .

٤ - قسمنا الرسالة إلى فقرات ، ووضعنا لكل فقرة العنوان المناسب لها .

٥ - قمنا بعمل تراجم موجزة بين معكوفين للأعلام الواردة بالرسالة ، قدر المستطاع .

٦ - قمنا بشرح المفردات والكلمات العربية التى قد تلتبس على القارىء .

وصف المخطوطة

لقد عثرنا على هذه المخطوطة الطيبة فى دار الكتب المصرية العامرة – أدام الله بقاءها – وكانت هذه المخطوطة تحت رقم (٣٢٢) عقائد تيمور ، ورقم ميكروفيلم (٣٠٣٨٣) ، وتشتمل على (١٩) صفحة ، فى كل صفحة (٢١) سطرًا .

وأخيرًا ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل عملنا هذا ، وأن يجعله لوجهه خالصًا ، ولمرضاته موافقًا ، وأن يجعله لنا ذخرًا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

رسالة فى كلمة الله عيسى بن مريم وخلق القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت

سئل الشيخ الإمام العالم أبو العباس أحمد ابن تيمية - رحمه الله تعالى - عن مسلم ونصرانى ، تفاوضا فى الكلام ، فقال النصرانى : أنتم معاشر المسلمين ، فى كتابكم : أن عيسى كلمة الله ، وتقولون : القرآن كلام الله ، وهو غير مخلوق ، فبينوا لنا القول فى ذلك و ابسطوا الجواب .

أجاب - رحمه الله تعالى -:

الحمد لله .. هذه حجة داحضة ، يحتج بها النصارى والجهمية ، من المعتزلة وغيرهم ، الذين يقولون : إن كلام الله مخلوق ، والجهمية تقول كما قال الذى امتحن الناس بخلق القرآن من الخلفاء[1] ، لمن ناظره : أليس عيسى كلمة الله ؟! قال : بلى . قال : أو ليس مخلوق ؟ قال : بلى . قال : فالقرآن كلام الله ؟ قال : نعم . قال : وهو مخلوق ؟ قال : لا . قال : فكيف تكون الكلمة من القرآن كلام الله وهو غير مخلوق ، وهذا كلمة الله وهو مخلوق ؟

---

(١) **هو عبدالله بن هارون الرشيد** : الملقب بالمأمون ، سابع خلفاء بنى العباس فى العراق ، وأحد أعاظم الملوك فى سيرته وسعة ملكه ، ولى الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة ١٩٨هـ . وقرَّب العلماء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين وأهل اللغة وغيرهم إليه ، ولولا محنة خلق القرآن التى امتحن فيها العلماء وأرغمهم على القول بأن القرآن مخلوق لكان من خيار خلفاء بنى العباس ، توفى رحمه الله عام ٢١٨هـ . انظر تاريخ بغداد (١٠/١٨٣) الأعلام (٤/١٤٢) .

وقد ذكر الإمام أحمد هذا السؤال فيما كتبه في الردّ على الجهمية[٢] وبين جوابه وذكر أنَّ النَّصارى والجهمية يحتجون بهذا وبيّن فساد حجتهم .

(٢) **الجهميــة** :-

أتباع جهم بن صفوان الذى ظهرت بدعته بترْمِذ - مدينة شرق نهر جيَحون - زعم بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال ، وأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان وأن الله تعالى فى كل مكان ووافق المعتزلة فى نفى الرؤية وإثبات خلق الكلام ، قال الذهبى فى ترجمته : « أبو محرز السمرقندى ، الكاتب المتكلم ، أُسُّ الضلالة ، ورأس الجهمية ... كان ينكر الصفات ، وينزه البارى عنها ، ويقول بخلق القرآن » . قتله نصر بن سيار عام ١٢٨هـ ، فأراح الخلق من شره ، ولكن بقيت أفكاره وسمومه بين الناس حتى وقتنا الحالى مع اختلاف المسميات قال عبدالله بن المبارك : « إنا لنحكى كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكى كلام الجهمية » .

انظر سير أعلام النبلاء (٦/٢٦) ، ميزان الاعتدال (١/٤٢٦) ، لسان الميزان (٢/١٤٢) ، الأعلام (٢/١٤١) ، « الفصل لابن حزم وبهامشه الملل والنحل للشهرستانى» (١/١٠٩) ، الفرق بين الفرق (٢١١) معجم البلدان (٢/٢٦) ، الشهادة الزكية (ص ٩٥) .

ونحن نذكر في هذا الجواب ما يحصل به المقصود ، فإن غلط هؤلاء وأمثالهم كان من جهة اللفظ المشترك ، وقد قيل إن أكثره اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء والله تعالى ورسوله إذا خاطب عباده باسم مشترك ؛ كان مقرونًا في كل موضع بما يبين المراد به كما في قوله : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ ﴾(٣) أى قدوة للناس يؤتم به أو يقتدى به . وفى قوله : ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾(٤) أى قرن وزمان وأصل الكلام فى ذلك أن لغة العرب أنها تعبر(٥) بالألفاظ التى هى المصادر عن المفعول كما يقولون هذا درهم ضرب الأمير أى مضروب الأمير ، ومنه قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ

---

(٣) سورة النحل : الآية [١٢٠] .
(٤) سورة يوسف : الآية [٤٥] .
(٥) كذا بالأصل .

ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾(٦) فسمى المخلوقات خلق الله والخلق مصدر خلق يخلق خلقًا فهو لفظ يراد به معنى المصدر تارة ومعنى المفعول تارة فإذا قيل : ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾(٧) فإن المراد معنى المصدر أى ما أشهدتهم تخليق ذلك ولا تكوينه وإذا قيل : ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾(٨) كان المراد به المفعول أى هذا مخلوق الله فإنه قال تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾(٩) ثم قال :

---

(٦) سورة لقمان : الآية [١١] .
(٧) سورة الكهف : الآية [٥١] .
(٨) سورة لقمان : الآية [١١] .
(٩) سورة لقمان : الآية [١٠] .

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾(١٠) فالإشارة إلى هذه الأمور التى هى مخلوقة ؛ فالسموات وغيرها إذا تبين هذا فالسموات صفات الله كالأمر والكلام والرحمةوالعلم والقدرة وغير ذلك وهى من هذا الباب تطلق على الصفة القائمة بالله وتطلق على مفعول تلك الصفة وما يتعلق بها بلفظ الأمر مصدر أمر يأمر أمرًا وأمر الله من كلامه وذلك الأمر الذى هو كلامه الذى يأمر به غير مخلوق ولهذا فصل بين الخلق والأمر فى قوله : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾(١١) ولفظ الأمر يراد به المفعول الذى هو المأمور وهو ما كوّنه الله فالأمر كقوله : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾(١٢) . وقوله : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾(١٣) وكذلك لفظ الرحمة يراد بالرحمة صفة الله القائمة بذاته وصفات الله غير مخلوقة كقوله :

---

(١٠) سورة لقمان : الآية [١١] .
(١١) سورة الأعراف : الآية [٥٤] .
(١٢) سورة الأحزاب : الآية [٣٨] .
(١٣) سورة النحل : الآية [١] .

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[١٤]
أى وسع كلّ شىء رحمتُك وعلمك ويراد بالرحمة ما يرحم الله به عباده من المخلوقات كما فى (الصحيح) : « إن الله تعالى قال للجنة : أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار : أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى »[١٥] .

وفى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة فبها يتراحم الخلق وبها يتعاطفون حتى أن الدابة لترفع حافرها عن ولدها من تلك الرحمة واحتبس عنده تسعة وتسعين رحمة فإذا كان يوم القيامة جمع هذه الرحمة إلى التسعة والتسعين فرحم بها عباده »[١٦] . ومنه قوله تعالى :

---

(١٤) سورة غافر : الآية [٧] .
(١٥) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (٤٨٥٠/فتح) ، ومسلم (٢٨٤٦) من حديث أبى هريرة مرفوعًا .
(١٦) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (٦٤٦٩/فتح) من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه .

﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾[17] قيل : هو أثر المطر يقال له رحمة الله تعالى .

وكذلك لفظ القدرة فإن القدرة صفة لله كالعلم كما فى (الصحيح) : أن النبى ﷺ كان يعلم أصحابه الاستخارة فى الأمور كما يعلمهم السورة من القرآن يقول : إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : « اللهم إنى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك »[18] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾[19] وقوله تعالى : ﴿ أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة ﴾[20] ولفظ القدرة يعبر به

---

(١٧) سورة الروم : الآية [٥٠] .

(١٨) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (٢/٧٠) ، وأبو داود (١٥٣٨)، والترمذى (٤٨٠) ، والنسائى (٣٢٥٣) ، وابن ماجة (١٣٨٣) من طريق عبدالرحمن بن أبى الموالى ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبدالله به .

(١٩) سورة الذاريات : الآية [٥٨] .

(٢٠) سورة فصلت : الآية [١٥] .

عن المقدور كقول القائل لما يشاهده من الآيات هذه قدرة عظيمة .

وكذلك لفظ العلم يعبر به عن العلم الذى هو الصفة ويعبر به عن المعلوم كما يقال غفر الله لك علمه فيك أى معلومة .

المراد بكلام الله :

وهكذا لفظ الكلمة والكلام يراد بهما الكلام الذى تكلم به وذلك صفة من صفاته قائمة بذاته ليس بمخلوق منفصل عن ذاته ولا بائن عنه فإن صفة الموصوف لا يجوز أن تفارق ذاته وتنتقل عنه وإن كان مخلوقًا فكيف فى الخالق سبحانه وتعالى والكلام يتكلم به المتكلم فيقال خرج منه الكلام وبدأ منه الكلام وهو لم يفارق ذاته وينتقل منه إلى غيره . قال تعالى : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾(٢١) .

---

(٢١) سورة الكهف : الآية [٥] .

فهذه الكلمة التى هى كلمة مخلوق وقد قيل إنها خرجت منه ومع هذا فلم تفارق ذاته وتنتقل إلى غيره فكلام الله تعالى أولى بذلك ولهذا قال السلف : القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود . وقولهم منه بدأ أى هو المتكلم به فمنه بدأ ليس بمخلوق فى غيره حتى يكون قد بدأ من ذلك وسمع كما يقوله الجهمية المنتسبة إلى أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى يقولون إن الله لما كلم موسى لم يكن الكلام قائمًا بذات الله بل خلق كلامًا فى الشجرة أو فى الهواء فسمع موسى ذلك الكلام وهؤلاء يكذبون الرسل لأنه قد علم أن الكلام إذا قام ابتداء بمحل كان كلامًا لذلك المحل وكذلك العلم والقدرة والسمع والبصر وسائر الصفات فمن قام به العلم فهو عالم ومن قامت به القدرة فهو قادر ومن قام به السمع والبصر فهو سميع بصير ومن قام به الكلام فهو متكلم فالكلام المخلوق فى محل هو كلام لذلك المحل لا كلام الله كإنطاق الله للجلود وغيرها قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ

عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ (٢٢) . وقال تعالى : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (٢٣) فتلك الشهادة وذلك النطق ليس هو كلام الله بل المفرق بين إنطاقه للمخلوقات وبين نطقه الذى هو كلامه فهذا الكلام الذى هو حقيقة الكلام إذا أضيف إليه فكلامه غير مخلوق وقد يراد بلفظ الكلام المفعول وهو المخلوق والمصنوع بالكلام كما يراد بالأمر المخلوق بالأمر .

معنى المسيح كلمة الله :

ومن هذا تسمية المسيح كلمة الله فإن الله تعالى خلقه بكلمته أى بقوله : ﴿ كن ﴾ فكان.قال تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (٢٤) . وقوله : خلقه أى خلق آدم من تراب ثم قال له ﴿كن﴾ فكان ، والمسيح لم يخلق من

---

(٢٢) سورة فصلت : الآية [٢١] .

(٢٣) سورة النور : الآية [٢٤] .

(٢٤) سورة آل عمران : الآية [٥٩] .

تراب بل خلقه بقوله ﴿ كن ﴾ من غير تراب وآدم بقى مخلوقًا من تراب حينًا من الدهر قد قيل أربعين عامًا حتى نفخ فيه الروح وقال له ﴿ كن ﴾ فكان،وأما المسيح فإن خلقه ابتداءً بقوله ﴿ كن ﴾ فكان ، لم يخلقه على الوجه الذى خلق عليه غيره من البشر حيث خلقه من ماء الأبوين وأقره فى الرحم المدة المعلومة ، فسائر البشر خلقوا بالسنة – أى : بعادة الله فى مخلوقاته – والمسيح خلق بخرق العادة ، فكوَّنه بكلمته . فلهذا سمى : كلمة الله دون غيره من المخلوقات .

وهذا يقتضى أن يكون المسيح آية من آيات الله وذلك يبين عموم قدرته فإنه سبحانه خلق النوع البشرى على الوجوه الممكنة ؛ خلق بعضه من غير ذكر ولا أنثى وهو آدم ، وخلق بعضه من ذكر بلا أنثى وهو حواء ، وخلق بعضه من أنثى بلا ذكر وهو المسيح ، وخلق سائر الزوجين من الذكر والأنثى ، ولا يقتضى أن يكون المسيح بهذا أفضل من عيره من المرسلين فإنه قد جاء فى الحديث الذى رواه عثمان بن سعيد الدارمى وغيره بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر وقد رواه عبد الله

ابن أحمد فى كتاب السنة عن النبى ﷺ ، مرسلًا : « إن الملائكة قالت : يا ربنا ! قد جعلت لبنى آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون وينكحون فاجعل لنا الآخرة كما جعلت لهم الدنيا . فقال : لا أفعل . ثم أعادوا عليه ، فقال : لا أفعل ، ثم أعادوا عليه ، فقال : وعزتى لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له: ﴿ كن ﴾ فكان »[٢٥] .

خلق الله آدم بيده :

وقد أجمع المسلمون واليهود والنصارى على ما فى الكتب الإلٰهيَّة من أن الله تعالى خلق آدم بيديه وأنه خصه بذلك دون الملائكة والجن ، كما قال فى القرآن لإبليس : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[٢٦] . وقال له إبليس: ﴿ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾[٢٧] وإن كان جهمية أهل الملل يتأولون اليد بالنعمة والقدرة

---

(٢٥) لم أقف على إسناده

(٢٦) سورة ص : الآية [٧٥] .

(٢٧) سورة الإسراء : الآية [٦٢] .

ويجعلون مجرد الإضافة هى المخصصة فليس المقصود هنا الرد عليهم إذ هو مبسوط فى غير هذا الموضع(٢٨) .
ومعلوم أنه لم يفضل آدم إلا لأمر خصه به وإبليس والملائكة خلقوا بقدرته وخلقوا بنعمته ، وكلهم مخلوقون لله فلا مزية لآدم عليهم من هذه الوجوه . وقوله :

---

(٢٨) قال ابن تيمية فى « الفتاوى » (٦/٣٥٥) : « مذهب أهل الحديث أن آيات وأحاديث الصفات تمر كما جاءت ويؤمن بها وتصدق وتُصان عن تأويل يفضى إلى تعطيل وتكييف يفضى إلى تمثيل » .

فمجمل القول فى اعتقاد السلف فى صفات الله –عز وجل–. أنه سبحانه « ليس كمثله شيء » لا فى نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا فى أفعاله ، وكل ما أوجب نقصًا أو حدوثًا فإن الله منزه حقيقة عنه ، فإنه سبحانه مستحق للكمال الذى لا غاية فوقه ، فمذهب السلف بين التعطيل والتمثيل ، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه ، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله ﷺ أى هو إثبات من غير تشبيه وتنزيه بلا تعطيل – فقد قال الإمام أحمد – رحمه الله – « لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث » .

﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[29] يقتضى بأنه خلقه بيديه دونهم حتى يصح التفضيل وتقوم حجة الله على إبليس وإلا أمكنه أن يقول : وأنا أيضا خلقتنى بيديك .

وما أضيف إلى الله دون غيره كقوله تعالى : (بيت الله) ، و﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ ﴾[30] يوجب أن يكون فى المضاف معنى يتوقى خصه الله به دون سائر البيوت كما خص البيت العتيق بما فيه من الخصائص ، وخص المساجد بأن يعبد فيها ويذكر فيها اسمه ، وخص تلك الناقة بما جعله فيها من الآيات .

وأما إذا كان شيئان متماثلان فى جهة الإضافة فإنه لا يجوز تخصيص أحدهما بالإضافة دون الآخر والمقصود هنا أن آدم مع كونه خلقه بيديه ثم قال له ﴿ كن ﴾ فكان [مفضلا][31] على من قال له ﴿ كن ﴾ فكان ولم يخلقه بيديه .

(٢٩) سورة ص : الآية [٧٥] .
(٣٠) سورة الأعراف : الآية [٧٣] .
(٣١) بياض بالأصل ولعل ماأثبتناه يقوم مقام الساقط .

العبرة فى خلق المسيح بدون أب :

فالمسيح إذا خلقه بقوله ﴿ كن ﴾ فكان، لم يقتض ذلك أن يكون أفضل من إبراهيم ، ومحمد ، لمن خلق فى الرحم بسنة الله وعادته وإنما يدل ذلك على أن المسيح آية من آيات الله ، وقد قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[٣٢] .

ومعلوم أن الأنبياء وحمل مريم أفضل من مريم وخلق آدم من غير زوج آية كما أن المسيح من غير أب آية وما خلقه الله بغير [٣٣] من العجائب الخارقة للعادات فيها من الآيات ما ليس فى غيرها وإن كان غيرها أفضل منها ولا يقول قائل إن القمر لما انشق كان أفضل من الشمس فقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾[٣٤] بين بذلك أنه مخلوق بكلمته فإنه قادر على أن يخلقه على غير هذا الوجه المعتاد

---

(٣٢) سورة الأنبياء : الآية [٩١] .
(٣٣) بياض بالأصل .
(٣٤) سورة النساء : الآية [١٧١] .

بكلمته وكان فى ذلك رد على من يقذف المسيح وأمه ، ويزعم أنه ولد عنه أو يقول : إنه ابن يوسف النجار ؛ لرشده ، والنصارى الجهال يزعمون أن مريم تزوجت بيوسف النجار ، وأنها ولدت المسيح ؛ فيكون فى هذا حجة الفلاسفة واليهود على أنه ابن يوسف ، سواء كان لرشده أو لغيه ، وهذا باطل ؛ فإن مريم بتول لم تتزوج قط ، فما يقوله المسلمون أعظم ببريته كما تقوله النصارى(٣٥) .

---

(٣٥) مازالت قصة ميلاد عيسى - عليه السلام - محل استهزاء اليهود وتهكمهم ، فهم يعتقدون كما يحكى ابن تيمية عنهم : أنه ولد نتيجة للدس ومن الفحشاء . وقد حكى إنجيل يوحنا [٨ : ٤١] شيئًا من ذلك ، إذ أراد اليهود - عليهم لعنة الله - أن يُحقِّروه ويُجرِّحوه فقالوا وهم يقصدون أن يلْمزوه : « إننا لم نولد من زنا » . وقد اضطربت أقوال كُتَّاب الأناجيل فى نسب المسيح عيسى - عليه السلام - فلقد ذكر لوقا فى إنجيله تسلسل نسب المسيح باعتبار أن يوسف النجار - خطيب مريم (عليها السلام) - هو أبوه الشرعى ، وذكر (متَّى) أن أبوه هو دواد بن إبراهيم وغير ذلك من الأقاويل والأباطيل التى تطعن فى سيرة مريم البتول وابنها المسيح - عليه السلام .

المراد بكلمة الله :

والذى يبين الفرق بين قولنا أن القرآن كلام الله وقولنا : الحمد لله رب العالمين كلمة الله وقولنا : المسيح كلمة الله أن القرآن صفة من الصفات لا يقوم بنفسه ليس هو عينًا قائمًا بنفسه ولا جسم فينتقل بنفسه من مكان إلى مكان ، والمسيح مثل غيره من البشر عين من الأعيان وجسم من الأجسام ينتقل من مكان إلى مكان ويقوم بنفسه وتقوم به الصفات والأعراض كالكلام والحياة والقدرة وكلام الله الذى هو صفة قائم به كما يقوم

= إلا أن الإسلام أزال ذلك الدنس عن السيدة مريم - عليها السلام - وقرر طهارتها وعفّتها ، ورفعها إلى درجة الصديقين ، فقال - عز وجل - ﴿ **وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك على نساء العالمين** ﴾ [آل عمران : ٤٢] . وقال - عز وجل - فى موضع آخر ﴿ **ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام** ﴾ [المائدة : ٧٥] .

به علمه وقدرته وسمعه وبصره وسائر صفاته وكلامه لا يباين ذاته ولا ينتقل إلى غيره ؛ إذ كلام المخلوق لا يفارق ذاته وينتقل إلى غيره .

الرد على من يزعم أن المسيح كلام الله :

فالمسيح الذى يتحرك وينتقل من مكان إلى مكان كيف يكون هو كلام الله الذى هو صفة من صفاته قائمة به سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا ، وكذلك ما يقال أنه حل فى المسيح أو تدرع(٣٦) به من اللاهوت فإن ذلك اللاهوت إن كان هو كلام الله القائم به امتنع أن ينتقل عنه ويحل بغيره وإن كان اللاهوت هوالمتكلم بالكلام وهو الجوهر الجامع الأقانيم فذلك هو رب العالمين الذى تسميه النّصارى الأب فيكون المسيح هو الأب وهم مجمعون على أن المسيح ليس هو الأب ومجمعون على أنه إله يخلق ويرزق وهذان قولان متناقضان يظهر تناقضهما للعاقل من الصبيان فإن الذى تدرع

---

(٣٦) التدرع: تدرع أى لبس والمعنى لبس اللاهوت (الوسيط ١/٢٩٠) .

المسيح إن كان هو المتكلم فالمسيح هو الأب وإن كان هو الكلمة فالكلمة صفة لا تفارق الموصوف وتحل بغيره وإن كان كما قالوا : إنه أنزل عليه كلام الله وإنه ظهر فيه نور الله كما يظهر شعاع الشمس على الأرض فهذا حق يوافقهم فيه المسلمون وهو يبطل قول النصارى من وجهين :

أحدهما : أنه لا فرق فى ذلك بين المسيح وغيره من الرسل فإن موسى وإبراهيم وغيرهما بهذه المنزلة .

الثانى : أن الشمس نفسها لم تحل فى الأرض ولا النور الذى قام بها فارقها وانتقل إلى الأرض ، ولكن إذا قابلتها الأجسام انعكس عليها شعاعها ، فالشعاع الحاصل على الأرض ليس هو عين ما قام بالشمس ، بل حدث بسبب المقابلة كما أن السراج إذا كان فى البيت حصل على الأرض والحيطان والسقف نور ينعكس من شعاع السراج ، ونفس النار الخارجة من السراج لم ينفصل عنها شىء ولا قامت صفتها بغيرها ، وتلك النار عين قائمة بنفسها والضوء الذى على الحيطان صفة

وعرض وكذلك الشعاع الذى على الأرض صفة من الصفات وعرض من الأعراض .

الرد على من زعم أن المسيح من ذات الله :

فإذا قالوا إن ما كان فى المسيح من هذا النمط تبين أن المسيح ليس فيه شيء من ذات الله أصلًا ولا صفة من صفاته أصلاً فضلاً عن أن يكون هو الله وابن الله ، بل فيه من هدى الله ونوره نظير ما فى المرسلين كما قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾(٣٧) (الآية) . أى مثل نوره فى قلوب المؤمنين . وقال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ﴾(٣٨) . وقال تعالى : ﴿ أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾(٣٩) وهذا التفريق بيِّن ، فيما أضافه صفة

---

(٣٧) سورة النور : الآية [٣٥] .
(٣٨) سورة الشورى : الآية [٥٢] .
(٣٩) سورة المجادلة : الآية [٢٢] .

أو أضافه خلقًا ، فإن كان المضاف صفة لا يقوم بنفسه كالكلام الذى هو الكلام والعلم الذى هو العلم والأمر الذى هو الأمر ، فإذا أضيف إلى الله تعالى ، كان ذلك صفة من صفاته ، وإن كان المضاف إليه بعض الأعيان القائمة بنفسها ، وما يقوم بها من الصفات ، كان مخلوقًا لله ، ولم تكن إضافته إليه إضافة الصفة ، كقوله للجنة : أنت رحمتى وقوله: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾(٤٠)

المراد بقوله ﴿ وروح منه ﴾ :

وقوله عن السموات : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى ﴾(٤١) . وقوله للمسيح كلمة الله وبهذا يظهر أيضًا قوله فى المسيح : ﴿ وروح منه ﴾ فإن ذلك لا يقتضى أنه صفة لله ، وذلك أن قوله : روحى أبلغ من قوله : وروح منه وقد قال فى جبريل : ﴿ فَأَرْسَلْنَا

---

(٤٠) سورة النحل : الآية [١] .
(٤١) سورة لقمان : الآية [١١] .

إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾[٤٢]. وقد قال فى جبريل : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[٤٣] . وقال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾[٤٤] فهذا جبريل سماه الروح الأمين وروح القدس وأضافه إلى نفسه ومع هذا فهو مخلوق فقوله فى المسيح روح منه أولى أن يكون مخلوقًا فإنه سبحانه قد قال : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾[٤٥] وذلك كله مخلوق . وقال تعالى : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾[٤٦] والنعم التى بنا (من الله)(*) مخلوقة وكان النبى عليه الصلاة والسلام

---

(٤٢) سورة مريم : الآية [١٧] .

(٤٣) سورة النحل : الآية [١٠٢] .

(٤٤) سورة الشعراء : الآية [١٩٣] .

(٤٥) سورة الجاثية : الآية [١٣] .

(٤٦) سورة النحل : الآية [٥٣] .

(*) ما بين القوسين مستدرك من هامش المخطوطة .

يقول على أضحيته : « اللهم منك ولك »[٤٧] . وقال : « من قال إذا أصبح : اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر دلك اليوم »[٤٨]

---

(٤٧) حديث ضعيف : محتمل للتحسين :

وهو جزء من حديث أخرجه أبو داود (٢٧٩٥) وأحمد (٣٧٥/٣) والدارمى (١٩٤٦) وابن ماجه (٣١٢١) من طريق محمد بن إسحق عن يزيد بن حبيب عن أبى عياش عن جابر ابن عبدالله . ورجال إسناده ثقات فيما عدا أبى عياش وهو المعافرى المصرى مستور وأيضًا فقد عنعنه ابن إسحق . ولكن يشهد له حديث أبى سعيد الخدرى عند أبى يعلى والطبرانى فى الأوسط ، عزاه إليهما الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢٢/٤) وقال : وفيه الحجاج بن أرطأة وهو ثقة لكنه مدلس . اهـ .

(٤٨) حديث ضعيف :

أخرجه أبو داود (٥٠٧٣) ، وابن حبانى (٢٣٦١/موارد) ، والطبرانى فى «الدعاء» (رقم : ٣٠٦ ، ٣٠٧) وابن السنى (رقم : ٤١) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٤٣٦٨) ، والبغوى فى شرح السنة (١١٥/٥) من طرق عن سليمان بن بلال عن ربيعه عن

فإذا كانت النعم التى بنا وما فى السموات وما فى الأرض من الله وهى مخلوقة فما المانع أن يكون المسيح روحًا من الله وهو مخلوق . وقد بينا أن جبريل الذى قال فيه : ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾(٤٩) هو مخلوق أيضا وذلك كله لأن جبريل عين من الأعيان والمسيح وروحه عين من الأعيان قائم بنفسه . والأعيان القائمة بنفسها التى تنتقل من موضع إلى موضع يمنع فيها أن تكون صفة للمخلوق فكيف يكون صفة للخالق سبحانه وتعالى

= ابن عنبسة عن ابن غنام به . وعلة ضعف الحديث عبدالله بن عنبسة ، لخص ابن حجر حاله فى «التقريب» فقال : « مقبول » أى فى المتابعات ، ولم أجد له أى متابعة . والله أعلم .

وعزاه السيوطى فى «الدر المنثور» (١٥٤/١) للنسائى ، وابن أبى الدنيا فى « الشكر » ، والفريابى فى « الذكر » والمعمرى فى « عمل اليوم والليلة » ، والمستغفرى فى « الدعوات » ، كلهم عن ابن عبسة عن ابن غنام به ، والحديث ضعفه الألبانى فى « ضعيف الجامع » (٥٧٤٢) .

(٤٩) سورة مريم : الآية [١٧] .

وهذا بخلاف قوله : ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾(٥٠) .

وقوله : ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾(٥١)

وقوله : ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾(٥٢) . وقوله : ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾(٥٣) فإن القول هو صفة من الصفات لا تقوم بنفسها بل لابد له من قائل يقوم به ، فإذا قال : ﴿ حق القول منى ﴾(*) امتنع أن يكون ذلك القول مخلوقًا فى غيره وأنه قد يكون حق من ذلك الغير لا من الله . وكذلك القرآن كلام لا يقوم بنفسه بل بغيره فلو كان قد خلقه فى الهواء أو فى نفس جبريل أو نفس محمد أو فى غير ذلك من المواضع ولهذا قال السلف : القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود أى بدأ منه لم يبدأ

---

(٥٠) سورة السجدة : الآية [١٣] .

(٥١) سورة الزمر : الآية [١] .

(٥٢) سورة النمل : الآية [١٠٢] .

(٥٣) سورة فصلت : الآية [٢٠] .

(*) سورة السجدة : الآية [٣٢] .

من غيره ، فيكون كلامًا لذلك الغير وإليه يعود أى يرفع من الصدور والمصاحف فى آخر الزمان .

فالأصل المعقول فى هذا الباب أن يفرق فيما أضيف إلى الله أو قيل : إنه منه وبين ما كان عينا من الأعيان الموجودة فى العالم التى تمتنع أن تكون صفة لغيره وبين ما قام بتلك الأعيان وبين ما هو صفة لا يقوم إلا بموصوف ولو قامت بغير الله لكانت صفة لذلك الغير لا لله تعالى فإن هذا الباب ضل فيه النصارى واليهود ؛ فالنصارى شبهوا المخلوق بالخالق وجعلوا ما هو صفة لله صفة للمخلوق حتى جعلوا المخلوق إلهًا وربًا ، واليهود شبهوا الخالق بالمخلوق فجعلوا ما كان من خصائص المخلوق كاللغوب والفقر والبخل صفة لله والله سبحانه نزه نفسه عن هذا وهذا فقال للنصارى : ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا

لَكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾(54) . وقال : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾(55) . وقال :
﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾(56)
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(*)

---

(54) سورة النساء : الآية [171] .

(55) سورة المائدة : الآية [17] .

(56) سورة المائدة : الآية [73] .

(*) سورة التوبة : الآية [30 ، 31] .

وأمثال ذلك . وقال عن اليهود : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾(٥٧) .وقال : ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾(٥٨) .

وقال : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾(٥٩) . وقد ذكروا أن هذه الآية نزلت ردًا على اليهود لما زعموا أن الله عز وجل لما خلق السموات والأرض فى ستة أيام استراح وهذه اللفظة هى فى التوراة التى بأيديهم(٦٠) لكن لعلماء المسلمين فيها قولين :

---

(٥٧) سورة المائدة : الآية [٦٤] .

(٥٨) سورة آل عمران : الآية [١٨١] .

(٥٩) سورة ق : الآية [٣٨] .

(٦٠) سفر التكوين ؛ الإصحاح الأول ، العدد (١ : ٤) التوراة السامرية نشرها الدكتور/ أحمد حجازى السقا . ونصه [وكملت السموات والأرض وكل جيوشها ، وكمل الله فى اليوم السادس صناعته التى صنع ، وواراه الله اليوم السابع ، واستراح =

منهم من يقول : لم يحرفوا لفظها ولكن التحريف وقع فى معناها فإن استراح معناه ترك الخلق وفرغ منه فظن أن معناها استراح من التعب والنصب وهذا قول ابن قتيبة وغيره .

والثانى : أنهم حرفوا اللفظ وهو قول ابن الأنبارى وغيره .

مقالات فرق اليهود والنصارى :

واليهود والنصارى فيهم مشبهة ممثلة يشبهون صفات الرب بصفات المخلوقات وفيهم جهمية معطلة ينفون صفات الرب ويشبهونه بالمعدومات ثم من كان من النصارى جهميًا معطلًا نافيًا للصفات فهو يقول : إن التوراة مخلوقة ، وإن كلام الله مخلوق ، وإن الله لا يرى وأنه لم يقم به شيء من الصفات وهذا قول كثير من حذاق النصارى بل حذاقهم مثل اغستكين ، أسقف إشبيلية ، الذى هو من أحذق من انتصر للنصارى فهذا

= من كل صناعته التى صنع ، وبارك الله اليوم السابع وقدّسه ، لأن فيه بطل من جميع صناعته التى صنع الله للفعل » فتعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا .

وأمثاله الذين هم أذكى النصارى وأفضلهم وهم يريدون أن ينزلوا دين النصارى على ما يوافق العقل والشرع وهم عاجزون عن ذلك لأن مخالفة دين النصارى للعقل والكتب المنزلة ظاهر لكل فاضل ولهذا كان عامة فضلاء النصارى زنادقة(٦١) فلاسفة يسخرون من عوامهم ، ويقيمون الرياسة عليهم .

تأويلهم كلام الله لموسى عليه السلام :

فهؤلاء الحذاق منهم يقولون : إن التوراة مخلوقة وأن الله كلم موسى بصوت خلقه في الهواء وأن الله لم يقم به كلام ولا غيره من الصفات فإذا كانوا يقولون : إن الكلام والنداء الذى هو صفة من الصفات مخلوقًا ، فكيف يكون المسيح الذى هو عين قائم بنفسه منتقل مباين لغيره غير مخلوق فهذا كلام حذاقهم يفسد أصل دينهم .

---

(٦١) الزِّنْديق : القائل ببقاء الدَّهْر ، وزَنْدَقته أنه لايُؤْمن بالأخرة ووحدانية الخالق «لسان العرب» (١٨٧١/٢) .

فســاد اعتقادهم بالأقانيم الثلاثــة

وسبب ذلك أن المذهب فى نفسه باطل بصريح العقل وذلك أنهم يقولون « بسم الآب والابن وروح القدس إله واحد ، ويقولون : الأحدى الذات الثلاثى الصفات ، ويقولون : إن المتحد بالمسيح هو الابن ، ويقولون : إن الرب هو جوهر واحد وله ثلاثة أقانيم ، والأقنوم يفسرونه تارة بالشخص ، وتارة بالصفة ، إذ المذهب فى نفسه متناقض ، ويقولون : الأب هو أقنوم الوجود ، والابن أقنوم الكلمة ، والعلم وروح القدس أقنوم الحياة ، فيكون المراد : أنه موجود حي متكلم ومنهم من يقول : روح القدس القدرة ، فيكون المراد أنه موجود عليم قدير ، ومنهم من يقول : غير ذلك وقد كان من طوائفهم المتقدمين من أنكر عليهم هذا وجرت بينهم مخاصمات ومنازعات ودخلت عليهم الملوك وصاروا يعاقبون من أمرهم بالتوحيد .

وأصل ضلالهم سببان :

أحدهما : أنهم أرادوا الغلو فى المسيح معاندة لليهود الذين كذبوه وظلموه فصارت اليهود فى جانب وهم فى جانب .

والثانى : أنهم وجدوا فى الكتب ألفاظًا مشتبهة بعضها صح نقلها عن الأنبياء فحرفوا معناها وبعضها لم يصح نقلها .

المراد بالأقانيم الثلاثة

وقالوا : إنهم قيل لهم اذهبوا فغرروا الناس باسم الأب والابن وروح القدس وهذا اللفظ إن كان قيل لهم هو أو ما يشبهه فالمراد بروح القدس هو جبريل والأب هو الله والابن هو عبده ورسوله المسيح ، ومن بغيهم أنهم يسمون الرب أبا والعبد ابنا كما في إنجيلهم أن المسيح قال لهم تشبهوا بأبيكم السماوى وقال : أى وأبيكم فقد جعل المسيح فيما ينقلونه عنه أبا لهم كما هو أب له وهم متفقون على أنهم عبيد مخلوقون وأن الله ربهم فكذلك المسيح عبد مخلوق والله ربه ويكون الأب والابن وروح القدس معناه الإيمان بالله وبرسوله المسيح ، فإن جبريل هو روح القدس وهو الذى يجيء بالرسالة من الله وهو رسول الله إلى مريم في النفخ كما قال تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[٦٢] .

---

(٦٢) سورة مريم : الآية [١٧] .

المراد بروح القدس

وقد قيل إن المراد بالروح هنا روح المسيح والصحيح أنه جبريل ﴿ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾(٦٣) وقال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾(٦٤)

وقال : ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(٦٥) وقد قال تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَا

---

(٦٣) سورة مريم : الآية [١٨ ، ١٩] .

(٦٤) سورة التحريم : الآية [١٢] .

(٦٥) سورة الأنبياء : الآية [٩١] .

عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾(٦٦) وإذا كان الله قد أمرهم أن يؤمنوا بربهم الذى سموه أبا وبرسوله عيسى ابن مريم الذى يسمونه هو وغيره ابنا ويؤمنوا بروح [القدس](٦٧) الذى هو جبريل وهو رسول الله والنفخ فى مريم الذى لحى بالوحى كان هذا أمرًا موافقا لما جاءت به الرسل وهو موافق للعقل بخلاف قولهم فإن العقل والكتب التى جاءت بها الرسل فإنهم يقولون : إن الرب جوهر واحد له ثلاثة أقانيم كما تقدم أحدها أقنوم العلم وهو الكلمة ويزعمون أن هذا الأقنوم هو الذى اتحد بالمسيح وهو اللاهوت الذى تدرع الناسوت أى صار الإنسان كالدرع والقميص للاهوت وهم يقولون : إن المسيح إله يخلق ويرزق ويرحم ويُعبد ويُدعا ويُسأل ويُصلى له وأن

---

(٦٦) سورة البقرة : الآيتان : [٨٧ ، ٢٥٣] .
(٦٧) بياض بالأصل ، ولعل ما أثبتناه هو الصواب .
(*) بياض بالأصل ، ولعل ما أثبتناه يقوم مقام الساقط .

الحواريين كلموه وكلهم كلموا الله وكلمهم وقد يفضلون الحواريين على موسى وإبراهيم وغيرهما ويجعلون تكليم الله للحواريين أعظم من تكليمه لموسى .

أو غيرهم وممن يقول بالحلول والاتحاد المطلق كالقائلين بوحدة الوجود[٧٢] مثل ابن عربي

---

(٧٢) وحدة الوجود :-

هو مصطلح ذهب إليه فئة ضالة من المتكلمين والفلاسفة ويقصدون به أن وجود الخالق وجود المخلوقات وكل ما تتصف به المخلوقات من حسن وقبح ، ومدح وذم ، إنما اتصف به عندهم عين الخالق ، وليس للخالق عندهم وجود مباين لوجود المخلوقات ، منفصل عنها أصلاً ، بل عندهم : ماثَّمَ غير الخالق ، فَعُبَّاد الأصنام لم يعبدوا غيره ، لأنه ما عندهم له غير ولهذا جعلوا قوله تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ [الإسراء : ٢٣] أي حَكَمَ : أن لا تعبدوا إلا إياه ، وما حكم الله بشيء إلا وقع ، إذ ليس عندهم غيره ، يتصور عقلاً. فكل عابد صنم – على حذر عمهم – إنما يعبد الله ، ولهذا جعل صاحب « الفصوص » – ابن عربي – عباد العجل مصيبين. وذكر أن موسى إنما أنكر على هارون . إنكاره عليهم عبادة العجل . وقال : كان موسى أعلم بالأمر من هارون ، لأنه عَلِمَ ما عَبَدهُ أصحاب العجل لعلمه : أن الله قضى أن لا يعبدوا إلا أياه ، وما حكم الله بشيء إلا وقع . فكان عتب موسى أخاه هارون بإنكاره وعدم اتساعه . فإن العارف من يرى الحَقَّ في كل شيء =

الطائى (٧٣) وابن سبعين(٧٤) وابن الفارض(٧٥)

= يراه عين كل شيء ، ولهذا يجعلون (فرعون) من كبار العارفين المحققين ، وأنه كان مصيبًا فى ادعائه الرّبوبية . فجعلوه مصيبًا فيما كفره الله به . ومن نظر فى قولهم علم أنه أعظم من كفر اليهود والنصارى . وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها : أنه – تعالى – بائن من مخلوقاته ، ليس فى ذاته شيء من مخلوقاته ، ولا فى مخلوقاته شيء من ذاته .

(٧٣) ابن عربى الطائى :

هو أبو بكر محيى الدين محمد بن على بن محمد الحاتمى الطائى الأندلسى ، ولد بمرسية سنة ستين وخمسمائة ، ونشأ بها ، وانتقل إلى إشبيلية سنة ثمان وسبعين ، ثم ارتحل ، وطاف البلاد ، وله التآليف الكثيرة المشهورة ما يقارب أربعمائة كتاب ورسالة .

قال الألوسى : والناس فى ابن عربى أقسام ثلاثة :–

القسم الأول : من نص على تكفيره بناء على كلامه المخالف للشريعة المطهرة ، منهم السخاوى والسعد التفتازانى وملا على القارى .

القسم الثانى : من يجعله من أكابر الأولياء العارفين ومن مجلة المجتهدين ، كالشعرانى والمناوى والنابلسى وكثير من الفضلاء .

. . . . . .

القسم الثالث : من اعتقد ولايته وحرم النظر فى كتبه ، منهم السيوطى فى كتابه (تنبيه الغبى بتبرئه ابن العربى) قائلًا ما ملخصه : « أن الصوفية تواطأوا على ألفاظ اصطلحوا عليها وأرادوا بها معانى غير المعانى المتعارفة بين أهل العلم ، الظاهر كفرهم » اهـ . توفى عام ٦٣٨هـ . بدمشق . انظر «محاكمة الأحمدين» ص (٨٥) .

والصواب ما عليه القسم الأول والله تعالى اعلا وعلم .

(٧٤) ابن سبعين :

هو أبو محمد عبدالحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر الأشبيلى المرسى الرقوطى الأصل ، الصوفى المشهور ، درس العربية والآداب فى الأندلس ثم انتقل إلى سبتة ، وانتحل التصوف على قاعدة زهد الفلاسفة وتصوفهم ، وعكف على مطالعة كتبهم ، وَجدَّ واجتهد ، وكُثر أتباعه ، وأملى عليهم كلامًا فى العرفان على رأى الإتحادية ، وصنف فى ذلك أوضاعًا كثيرة ، وتلقوها عنه وأثبتوها فى البلاد ، وأتباعه يعرفون (بالسبعينية) ، توفى بمكة سنة تسع وستين وستمائه (٦٦٩ هـ) . انظر «الأعلام» (٢٨٠/٣) ، محاكمة الأحمدين ص (٩٨) .

(٧٥) ابن الفارض :-

هو عمر بن على بن مرشد بن على ، الحموى الأصل ، المصرى المولد والدار والوفاة ، أشعر المتصوفين ، يلقب بسلطان =

والتلمساني[٧٦] وسعيد الفرغاني والصدر القونوى[٧٧]

= العاشقين ، فى شعره فلسفة نتصل بما يسمى بـ (وحدة الوجود) توفى عام اثنين وثلاثين وستمائة (٦٣٢هـ) .

انظر « الأعلام » (٥/٥٥) ، «شذرات الذهب» (٥/١٤٩) ، «سير أعلام النبلاء» (٣٦٨/٢٢) ، «ميزان الاعتدال» (٢١٤/٣) .

(٧٦) التلمسانى :-

هو إبراهيم بن أبى بكر بن عبدالله بن موسى الأنصارى أبو إسحاق التلمسانى ، عالم بالفرائض ، أندلسى الأصل ، من أهل وقش ، كان فقيهًا . مبرزًا فى العدد والفرائض ، أديبًا شاعرًا ، اشتهر بمنظومة له فى الفرائض تعرف بـ (التلمسانية) ، قال ابن فرحون : لم يؤلف فى فنها مثلها ، نظمها قبل أن يتجاوز العشرين سنة . انظر الديباج المذهب (٢٧٤/١) ، الأعلام (٢٢٧/٦) .

(٧٧) الصدر القونوى :-

هو محمد بن إسحاق بن يوسف بن على القونوى الرومى ، صدر الدين ، صوفى ، من كبار تلاميذ الشيخ محيى الدين بن العربى ، كان شافعى المذهب ، له مؤلفات عديدة منها (إعجاز البيان) ، و(شرح الأسماء الحسنى) ، و(تفسير البسملة)

وابن أبى المنصور وأمثال هؤلاء ، فإنهم يقولون فى مجموع المخلوقات نظير ما يقوله النصارى فى المسيح ، ويقولون : إن النصارى إنما كفروا لأجل التخصيص ويقولون إن النصارى لو قالوا فى كل شيء كما قالوه فى المسيح لم يكفروا وكذلك عندهم عباد الأصنام إنما ضلوا لأنهم عبدوا بعض الأعيان التى هى مظاهر الحق دون بعض والعارف المكمل عندهم يعبد كل شيء لأن كل شيء مظهر الحق وهؤلاء متناقضون كتناقض النصارى وهم يخالفون صريح العقل والشرع ويدعون الكشف يحصل فيه ما يناقض صريح العقل والشرع ويقولون بالجمع بين النقيضين وبين الضدين وأمثال ذلك من محالات العقول ولا يفرقون بين محالات العقول ومجازات العقول فإن الأنبياء صلوات الله عليهم الذين هم أعظم درجة من الأولياء لا يخبرون

وغير ذلك كثير ، توفى عام ثلاث وسبعين وستمائة . (٦٧٣هـ) . انظر الأعلام (٦/٣٠) .

الناس بما يمتنع ويستحيل فى العقل كالجمع بين النقيضين والضدين وإنما يخبرونهم بما تمتنع عقول الناس عن الاستقلال بمعرفته فيكون العقل فيه جائزًا فيخبرونهم بمجازات العقول لا بمحالات العقول ويأتون على ما يقولون بالآيات البينات وكل من أمعن النظر فيما جاءوا به ازداد بصيرة ويقينا وإيمانًا وعظم قدر ما جاءوا به في قلبه وكمل به عقله وتمت به معرفته وتنورت به بصيرته وانشرح به صدره ورأى بنور هداهم ما فى من خالفهم من الظلمات كما قال تعالى :

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾(٧٨)

وهؤلاء يخبرون الناس بمحالات العقول ويريدون أن يصدقومهم فى ذلك بلا برهان ويدعون أنهم أفضل من الأنبياء وأن الله تعالى يخاطبهم أعظم مما خاطب به موسى بن عمران .

(٧٨) سورة الأنعام : الآية [٣٩] .

الرد على النصارى فى ادعائهم الوهيـة المسيح عليه السلام

كما يزعم النصارى أن الحواريين أفضل من الأنبياء ، وأن الله يخاطبهم أعظم مما خاطب به موسى ابن عمران وكل ما أمعن المسلم النظر فى أمرهم وجد عندهم من الكذب والاختلاف والضلال والجهل مما لايعلمه إلا الله وهم أكفر من النصارى من وجه والنصارى أكفر منهم من وجه .

والمقصود هنا أن يقال للنصارى اللاهوت الذى تدرعه ناسوت المسيح هو الرب القديم الأزلى الجامع الأقانيم أو هو صفة من صفاته إذ ليس إلا الرب القديم الموصوف بالحياة والعلم والقدرة وكل من القولين يبطل مذهبهم فإن قالوا هو الرب القديم الأزلى لزم أن يكون المسيح هو الرب القديم الأزلى ولا يكون ابنًا ولا يقعد عن يمين الله ويكون فيه أقنوم الحياة والوجود والعلم والقدرة والنصارى يلمزون من يقول ذلك وإن قالوا إنه صفة من صفاته كما يقولون إن المتدرع به أقنوم الكلمة

فجوابهم من وجهين أحدهما أن الصفة لا تفارق الموصوف وتحل بغيره لا صفة المخلوق ولا صفة الخالق وهذا معلوم بصريح العقل وقد تقدم بطلان تمثيلهم بشعاع الشمس .

الثانى أن الصفة نفسها ليست إلهًا يخلق ويرزق ويغفر ويرحم كيحيى بن عدى النصرانى الذى رد على أبى عيسى الوراق(٧٩) وأمثاله قد يمثلون ذلك بقول القائل زيد الكاتب الحاسب فهو وزيد الطبيب فيجعل له مع كل صفة حكمًا غير حكمه مع الصفة الأخرى ويقال لهم معلوم أن الله تعالى له الأسماء الحسنى كالرحيم والعزيز والعليم والقدير فالمسمى واحد وله الأسماء الحسنى ولهذا

---

(٧٩) أبو عيسى الوراق :

هو أبو عيسى ، محمد بن هارون الورّاق ، باحث معتزلى ، من أهل بغداد ، له تصانيف على مذهب المعتزلة ، قال ابن النديم فى «الفهرس»: كان من نظّارى المعتزلة ثم خلط ، وعنه أخذ ابن الراوندى ، قال المسعودى : له مصنفات حسان فى الإمامة وغيرها «توفى عام سبعة وأربعين ومائتين (٢٤٧هـ) ، انظر «لسان الميزان» (٤١٢/٥) ، الأعلام (١٢٨/٧) .

الاسم صفة وحكم ليست للاسم الأخر والمسمي واحد فالأسماء تجتمع فى مسمى الذات وتتنوع فى مسمى الصفات وأن كل اسم يدل على معنى الآخر بطريق التلازم لذات إذا حلت بمحل تبعتها الصفات كلها ومن المعلوم أن الصفة الواحدة لا تحل فى محل دون سائر الصفات ولا دون الذات فلو قال قائل زيد الطبيب حل فى هذا المحل دون زيد الحاسب أو الكاتب فى المثال المذكور مفتريا فكذلك من قال أن أقنوم الكلمة حل بالمسيح دون أقنوم الوجود والحياة كان كذابًا مفتريا فهم مشركون مفترون جاهلون وهم أعظم الطوائف فرية على رب العالمين والله سبحانه أعلم وأحكم والحمد لله وحده وصلواته على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا ..

تمت

فهرس الموضوعات

[٧٢ :عيسى/صحابة]

دار الصحابة للتراث
بطنطا
للنشر . والتحقيق . والتوزيع
ت: ٣٣١٥٨٧ - ص.ب ٤٧٧
شارع المديرية
فاكس ٣٣٨٧٦٩/٠٤٠